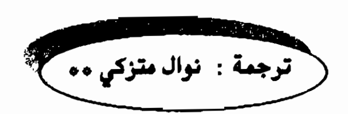


العلاقة بين الزوايا والمخزن
في مغرب القرن التاسع عشر

عبد الله العروي •



تتمظهر الظاهرة الاجتماعية التي يشير إليها المؤرخون والأنـــثروبولوجيون باسم الزاوية في صور متنوعة جدا. وليس مستغربا أن الأبحاث الأولى التي اهتمـت بالزوايا كانت جزئية ولم تدرك السمات العامة للظاهرة .

ظهرت الزاوية أول الأمر كمكان للاجتمـــاع بشـكل علنـــي فـــي المـــدن خصوصـا، مثل : الزاوية الناصرية، والزاوية الوزانية، والزاوية التيجانية، وغيرهـــا ...وكانت كلها قبل أي شيء أماكن يجتمع فيها مريدو طريقة مـــن الطـــرق، فـــي أوقات معينة من أجل الترديد الجماعي للأوراد والأذكار، وفي المدن التـــي تســـود فيها البرجوازية مثل : تطوان وطنجة وفاس والرباط وسلا اتخذت الزاويـــة طـــابع منتدى ديني أو مجرد منتدى(1) . وفي هذه المدن نفسها، ورغم الاختلافات الكـــبرى على مستوى اللباس ينجذب الانتباه بسهولة نحو رجال يرتدون المرقعة، كما ينجـذب اليوم{السبعينات} في أي مدينة نحو جماعة الهيبيز. ويتعلق الأمر عامة بالدرقـــاويين المعروفين – إضافة إلى ارتدائهم المرقعة – بسبحتهم ذات الحبات الكبيرة والملتفـــة

Abdellah LAROUI : Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830-1912 . P P . 131-154.

• أستاذة باحثة بكلية الآداب عين الشق الدار البيضاء

حول عنقهم، وبعصاهم(عكازهم) المصفحة، وعمامتهم الخضراء الضخمة. إلى جانب هؤلاء بنسب أقل مجموعة متسكعين حقيقيين تكتسحهم أوساخ منفرة شبه عراة، عيونهم جاحظة، وخلال مناسبات من السنة تبدأ مجموعات في عملية تجوال يمارسون فيها نوعا من الرقص الذهولي والشطح وأعمالا أقرب إلى أعمال البهلوانيين المحترفين، يتعلق الأمر هنا بمواسم هداوة وعيساوة، وحمادشة وجيلالة(2)... وكل شاهد على هذه الفترة من الأوربيين لا يمكنه إلا تشبيه هؤلاء ببعض الجماعات الدينية بالغرب في العصور الوسطى : شحادون، ومترنحون ومتعارضون مع المجتمع، وهذه الحالات مثل تلك تهم اليوم ميدان التحليل النفسي(3). وتعود الطرقية البرجوازية والطرقية الشعبية إلى تقليد صوفي مدون طورته الإسطغرافية العربية التي صنفت كل الزوايا في الإطار اللاهوتي الديني للجدل القديم بين علم الظاهر لدى الفقهاء، وعلم الباطن لدى العارفين. وهو جدل مازال قائما إلى يومنا هذا، لكن فقط ضد الطرق الشعبية المنحرفة، خاصة وأن اختيار الانتماء لإحدى الطرق شكل ضرورة اجتماعية في القرن التاسع عشر(4).لقد تعصب المستشرقون بشكل طبيعي لوجهة نظر الإسلام الحضري ولم يروا في الزاوية سوى إخوانية. وبالمقابل لم ير الملاحظون الأجانب في القرن التاسع عشر الزاوية على شكل إخوانية فقط، فقد تعرف إليها الفرنسيون في الجزائر كقوة محاربة إلى جانبهم أو ضدهم، وفي المغرب تعرفوا إليها من خلال شخصية عبد السلام الوزاني، السيد المطلق، صاحب الأملاك الشاسعة التي يشتغل بها أناس أقرب في وضعهم إلى الأقنان، والشخص المتمتع بنفوذ كبير بناحية الريف كلها على مقربة من مدينة طنجة حيث كان يقيم في غالب الأحيان. ولما أصبح عبد السلام الوزاني محميا فرنسيا أطلع المفوضية الفرنسية على ظهائر التوقير التي كانت بحوزته. وقد تمت دراسة هذه الظهائر كصكوك قروسطية وطبيعي أن تولد في هذا السياق لدى الفرنسيين فكرة أن الزاوية هي قبل كل شيء إمارة دينية(5).عندما وصل دوفوكو إلى المغرب، كان بكل تأكيد، تحت تأثير هذه النظرة ولم يستفد فقط من صداقته مع الوزانيين، بل بحث بكل الوسائل عن تأثيرات مماثلة. فهو صاحب نظرية الزوايا الخمس الكبرى : وزان، وأبي الجعد وتامكروت، ومدغرة، وتازروالت(6). إن المصلحة السياسية من هذه النظرية واضحة، لأنه بمماثلة هذه الزوايا بمقاطعات الكنيسة الأوربية، سيتم البحث عن وثائق مفوضية حقيقية للسيادة{تسليم، تفويض} والتي سيتم توظيفها فيما بعد لوضع نظرية الحماية نفسها.

ومع ذلك يوجد خارج إطار هذه الزوايا الكبرى أماكن مقدسة متعددة في البادية المغربية، تشكل أحيانا ضريح ولي صالح، وأحيانا أخرى محل إقامة ولي مازال على قيد الحياة، يتعلق الأمر إذن بالزاوية المحلية الفعلية، فما هي الروابط التي تجمع بين المزار المهجور أو المعمور وبين الجماعة؟ وما هو الدور الذي

يلعبه الولي أو الصالح والبركة القديس أو صانع المعجزات، حيا كان أو ميتا،حقيقة أم أسطورة داخل المجتمع خاصة في الجهات بربرية اللسان؟ لقد حاول الإثنولوجيون و الأنتروبولوجيون الإجابة على هذا السؤال، فطرحوا في البداية نظرية "الأكرام" التي جربوها في إطار محلي جد ضيق، فتوصلوا إلى أطروحات جد معروفة حول البركة والعار، والقربان إلخ(7). هكذا فصلت البركة عن جذورها الإسلامية. وبتحديد أكثر إنها قوالب إسلامية أفعمت بحقيقة انتروبولوجية يعتقد أنها جوهرية. ويصبح الولي البربري من خلال هذه النظرية وارث دور قديم، وبواسطة هذا الإرث نفسه يصبح كابحا أمام انتشار الإسلام الحقيقي. إن الزاوية البربرية مكان إقامة الولي، هي رمز لواقع مزدوج لجماعة مستقلة ذاتيا، وتابعة يتمركز فيها كل المقدس، وتلعب دورا اجتماعيا في مجالات التعاون، والتربية، والتسلية وتمثل بنية الجماعة التي تعمل بداخلها وتموضعها طبوغرافيا بين فجوات مختلف الفروع.(8).

هذه إذن أربع رؤى للزوايا: الزاوية المدرسة الدينية، والزاوية الطرقية والزاوية الإمارة، والزاوية البربرية، وكل منها له امتياز وجه من وجوه الظاهرة.غير أن بعض الصعوبات اكتنفت هذه الرؤى، فميشوبلير عالج الزاوية الناصرية والتي هي طريقة، جاعلا منها زاوية صنهاجية كبرى، ووسيلة رئيسية لاستعادة بلاد البربر، وهي أطروحة غير مقبولة من طرف أحد أنصار الاتجاه البربري وهو جورج سبيلمان، المرتبط اسمه بزاوية محلية صغيرة جعلت نموذجا لها زاوية أحنصال(9) ، أو عند الاقتضاء زاوية تازروالت(10). وتكتنف الصعوبات كذلك مسألة التمييز بين الزاوية البربرية والزاوية المدرسة بالبادية: فالمتمسكون بالأطروحة الأنتروبولوجية ينفون أهمية العمل الثقافي، ويؤكدون على أمية العديد من صلحاء البربر. بالإضافة إلى أنهم يظهرون مدعمين للنظرة التي ترى الزاوية بما أنها مؤسسة بربرية أساسية، ومنظمة للبركة، فهي عنصر ضروري للتوازن بين الجماعات والفروع التي ولدها عمليا الواقع الاجتماعي نفسه، وهو ما سيفسر الحيوية القصوى للظاهرة.واعتمادا على هذا المعطى الحاضر دائما تولدت الطرقية التي أخذت بالمدن شكل منتدى مع أن أصلها لم يكن سوى زاوية محلية، ويمكن للطريقة بدورها أن تتحول إلى إمارة. إن هذه الأطروحة كما هي في مستواها الأنتروبولوجي لا يمكن أن ترفض ولا أن تقبل من طرف المؤرخ ولا من طرف المهتم بعلم السياسة، لأنها لا تجيب على أسئلتهما. ولا يمكن سوى التأكيد على أنها لا تأخذ بعين الاعتبار لا المساهمة الخارجية الشرقية التي تركت آثارها في التاريخ الوقائعي، وفي ميثولوجيا الزوايا.ولا الحالات المتعددة التي لا تظهر فيها الزوايا رغم طابع ضرورتها المزعوم لأن التحريض الخارجي ظل منعدما(11).

إن حقيقة ايجاد ظاهرة الزاوية بين كل ثنايا المجتمع المغربي دفع البعض نحو الاعتقاد بأن السوسيولوجيا المغربية بعثت في الواقع من سوسيولوجيا الطرقية.

وبالفعل فقد كتب ميشوبلير بأن الزوايا : " مثل شبكة حية شاسعة، تعوض العيون الجديدة بها، العيون التي اندثرت، والتي كونت منذ قرون الرابطة الخفية التي تربط بينها وبين مختلف فروع الاسلام رغم تجزئته الظاهرة "(12). ويمكن القول أن مظهر الأشياء هذا قد أبهر الباحثين الذين أخفقوا في محاولاتهم الوصول إلى تعريف واضح للزاوية، والذين في غالبيتهم لم يجربوا حتى المحاولة مكتفين بأطروحة الزاوية البربرية(13). يبدو أنه إذا أردنا تفحص مفاهيم المرابط، الاكرام والبركة والشيخ، والطريقة، والاخوانية، كتمييز عن المفاهيم العمومية للزاوية ــ كما تشجعنا على ذلك اللغة العربية نفسها ــ فإن المشكل الكبير المحتاج إلى معالجة سيكون بالنسبة لنا هو تقديم نموذج مناسب. وقبل الوصول إلى هذا يطرح مشكل أعمق هو معرفة ما هو مركز التحريض الحقيقي : هل هو جوهرما قبل الاسلام الذي انفتح وأدمج كل العناصر الأجنبية، أو أن الأمر يتعلق بحالة انتشار مؤسساتي استمالت بعض القوى الكامنة؟ إن المسألة ليست مهمة بالنسبة لوصف نفس الأمر بالنسبة للزاوية ولكنها رئيسية من أجل تحليلها، وأساسا من اجل فهم العلاقة بين الزوايا والمخزن التي هي هدف كل تحليلنا.

مظهر زاوية

وسع بعض الكتاب، مثل: ميشو بلير، وجورج سبيلمان، وهنري طيراس مفهوم الصلاح إلى حد الخلط بين تاريخ الفتح الاسلامي للمغرب، وتاريخ الزوايا بالمعنى الخاص.(14) ولا يمكن أن نستفيد شيئا من هذه المماثلة المبالغ فيها. أما إذا انطلقنا من حركة الصلاح التي نعرفها جيدا، أي من الحركة الجزولية (القرن الخامس عشر) فإنه بإمكاننا التمييز بين ثلاثة مستويات:

– مستوى الصلاح في معناه الدقيق. بمعنى ظهور أعداد كبيرة من الزوايا التي شكلت أماكن للتعبد ومراكز الدعوى للحرب الدفاعية(الجهاد). ولم تكن الحركة الجزولية حركة مهيكلة أكثر مما كانت مجسدة في شخص رجل تابع مريدوه عمله عبر البلاد من بعده، دون أن تصل الحركة إلى مستوى طريقة.

– والمستوى الثاني هو مستوى الزاوية مكان التعبد. المتموضعة في نقطة استراتيجية. والتي تشكل مركز دعاية واستقطاب، كما تؤطر الدعاة، وتأوي وتطعم وتنظم المجاهدين.

– أما المستوى الثالث فهو مستوى الطريقة المؤسسة من طرف شخص يتمتع بهالة كبرى خولها له علمه، واستقامته، وصلاحه، تتجمع حول شخصه تدريجيا مجموعة زوايا للعبادة، كانت موجودة قبله، أو وقع خلقها. ويتموقع هذا المستوى الثالث الذي ولد "إمارات الصلحاء" في الواقع بين المستوى الأول والمستوى الثاني، أي بين حركة الصحوة الدينية – الوطنية التي كانت حقيقة قائمة منذ القرن الخامس عشر أي منذ الغزو الايبيري للسواحل المغربية، وانتشار زوايا العبادة عبر تراب البلاد

كمراكز للثقافة والتبادل، والحياة المدنيــة، والتــي تطــورت أو تدهــورت حســب الظروف، لـكنها تظهر ثانية عــمليا في نفــس المراكــز(15). إن هــذا المســتوى والأكثر تــقلبا هو مستوى الزوايا – الطرق، التي تذكر تقلباتها بتقلبــات الســلالات الحاكمة (16). يتعلق الأمر بهذه الزوايا النظامية التي تشكل حركات وقــع التــأريخ لتوسعها الايديولوجي وانتشارها الثقافي، من خلال نشاط شخص معين. ومن الثـابت أن كل هذه الزوايا ارتبطت بمراحل ضعف السلطة المركزية. فزاويــة تــازروالت التي كانت قد تأسست حول منطقة ايليغ من طرف احماد أو موسى، أحــد مريــدي التباع الذي هو نفسه أحد أتباع الجزولي، اتخذت لأسباب جغرافيــة شــكل إمــارة حقيقية في فترة الاضطراب التي رافقت نهاية الدولــة الوطاســية (17). إن الزوايــا الـثلاث الكبرى : الــناصرية التي أســست بتافيلالت، عــــلى يــد محمــد بــن ناصر(ت 1674)، والشرقاوية التي أسسها بتادلة، محمد الشرقي(ت 1601)، والوزانيــة التي أسسها بالشمال عبد الله بن ابراهيم (ت 1679)، تعود إلى نهاية حكم الســعديين ولم تنجح في استمرارها إلا بعد الدخول في نوع من التعايش مع الدولة العلوية (18). أما الزاوية الدرقاوية والتي أسسها العربي الدرقاوي(ت 1623)، فقد تطورت خــلال فترة الضعف السياسي الذي أعقب وفاة السلطان محمد الثالث، وعلى حساب الزوايــا الأخرى التي كانت قائمة. ونفس الوضعية تمت معاينتها غداة وفــاة الحســن الأول حيث شهدت الفترة ميلاد الزاوية الكتانيــة، بســند عنــد بنــي مطــير، والزاويــة البوعزاوية (مع خضوع ضعيف للزاوية الدرقاوية) في الشاوية ، وأخيرا زاوية مـلء العينين في الصحراء الغربية(19) في جميع هذه الحالات يتكــرر نفــس الســيناريو. وليس هناك انطلاق من عدم، بل تتأكد الصلة مع زاوية للتعبد هي مصــدر التــأثير الأخلاقي والثقافي مثال ذلك: زاوية ابن غازي في علاقتها مع الناصريين، وزاويــة سرسار في علاقتها مع الوزانيين. إن بداية الزوايا المنظمة ليست ســهلة أبــدا ولا خالية من النزاع. إن إنشاء مركزجديد مبرر باســتمراربمعاداة الزوايــا القائمــة " فليرحل إلى مكان آخر، لإحياء أرض موات"، هذا ما قيل لخصوم محمــد الشــرقي ونفس الشيء حصل في مغامرة جد عائلة الوزانييــن. ويتمتــع مؤسســوا الزوايــا الكبرى بصفات منها أن المؤسس رجل إيمان قوي، ورجل تأمل، ومتمكن من تعليــم صوفي، أما في الجيل الثاني فيصبح مظهر التنظيم والتوطيد هو الغالب. بينما مــع الجيل الثالث لا يحدث أي شيء، فيجد المؤرخون صعوبة من أجل ملء الصفحــات عندما يريدون تحاشي الخوض في موضوع صراعات الوراثــة. ذلــك أن الســمة الاقتصادية – السياسية للزاوية أصبحت متغلبة على السمة الدينية، وانتهت إلى جعل تدخل سلطة المخزن أمرا لا مفر منه. لقد بدأ بعض أبناء الشيخ المؤسس للناصريــة بالانفصال لتجريب حظهم (فاستقر علي بأولوز، واستقر محمــد الابــن الأصغــر بزاوية البركة) فوصل عدد الزوايا المرتبطة بتامكروت في نهاية القرن التاسع عشر مائة وعشرون زاوية. وبالنسبة للشرقاويين، خلف المؤسس عشــرة مــن الورثــة

انتشروا في النواحي المحيطة بأبي الجعد. ونفس الشيء لدى الوزانيين حيث تصدر الأخوان الطيبي والتهامي (الشيخ الثالث والشيخ الرابع للزاوية) خاصة بين 1707 و1768، لتأسيس زوايا بشمال وشرق البلاد، وبعث التهامي ثمانية عشر ابنا من أبنائه إلى توات(20).

لقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر ميلاد زاويتين بنفس السيناريو: إحداهما بالشمال أغلبية أتباعها من الحضر، والأخرى بالجنوب، وغالب أتباعها من القرويين البربر. لاحظنا أن الكتانيين لم تكن لهم قبل هذا التاريخ أية ولاية معروفة لكن محمد بن عبد الواحد الكتاني الذي كان أميا أسس بمعاضدة الفاسيين الذين كانت لهم في بداية القرن السابع عشر طريقة دينية جد مهمة، عرفت تراجعا مستمرا فيما بعد، طريقة بمساعدة أحد العلماء هو جعفر بن ادريس الكتاني وتابع ابنه عبد الكبير عمل الطريقة، ثم تنازل عن منصبه لصالح ابنه محمد لما بدت على هذا الأخير حالات صوفية. وقد تمكن القائد الشاب بفضل ديناميته الكارزمية من استقطاب مريدين من أوساط الحرفيين بفاس، والمناطق المجاورة كما أسبغ على نشاطه مظهرا سياسيا صرفا. وفي الجنوب لدينا تجربة علي بن احمد الإليغي الذي كان مريدا لشيخ درقاوي، و الذي أدخل الطريقة الجديدة ضمن إقطاع الناصريين غداة وفاة هذا الأخير، وفي الوقت الذي تمزقت فيه الطائفة إثر صراع حول الخلافة، فقد سمع سنة 1883 نداء الرسول الذي أمره باللسان البربري أن " أسس زاويتك الخاصة ". وهذا ما قام به في السنة الموالية بعد أن عاد إلى المدينة مسقط رأسه. فقد بدأ الطواف في الأسواق، والتنقل من مدينة إلى أخرى، والقيام بزيارات للقواد الكبار مثل المتوكي من أجل أن يصبح له أتباع ومريدون. فتطورت الزاوية الإلغية تدريجيا، واستمرت كطريقة مدة سبعين سنة ثم تراجعت، واندثرت(21).

ما دامت الزاوية محلية مثل الشرقاويين التي لم يتجاوز نفوذها منطقة تادلة أبدا، أو أن تكون وطنية فعلا مثل زاوية الناصريين والوزانيين. وسواء كانت متمركزة مثل هاتين الأخيرتين، أو غير متمركزة في الواقع مثل زاوية الدرقاويين فإن ما يلفت النظر في كل الحالات هو سمة الدعوة و الدعاية واستقطاب الأتباع. وبدون شك فإن زوايا التعبد غيرت انتماءها، وانتقلت من حركة طرقية إلى أخرى من البقاليين إلى الوزانيين مثلا، أو من الناصريين إلى الدرقاويين. والبعض منها انتمى إلى أكثر من طريقة كما هو الشأن بالنسبة لماء العينين (22).

يكمن بدون شك ترجيح اعتبار الطريقة إلى هذا الحد أو ذاك مصطنعة وزائلة، في الوقت الذي تظل فيه الأساس، أي الزاوية التعبدية ثابتة في مكانها، وفي بنيتها ووظيفتها. ورغم كل هذه الوقائع فإن الزاوية التعبدية أنشأت ذاتها بذاتها إنها نتاج الزاوية كحركة لنشر الاسلام، وللتطهير. إن العامل الأساسي هو بعدها عن المركز، إذ يتعلق الأمر بإشعاع انطلاقا من مركز يدعو للعودة إلى الأصل.

لقد حاول السلطان اسماعيل إجبار الزوايا على إقامة مراكزها بفـــاس مـــن أجل تسهيل مراقبتها، لكن النتيجة لم تكن أبدا مرضية / probant فمراكـــز التـــأثير الحقيقي استمرت منطلقا لكل طريقة : إليغ ، تامكروت، أبي الجعد، وزان، أمجـــوط. ومع ذلك فهذه المراكز المتفرقة تحت على النمطية (الانتظام)، وبالرغم من أن هـــذه المراكز استطاعت لعب دور في الدفاع عن المصـــالح الجهويـــة ضـــد المخـــزن المركزي، فإنها تجاوزت الأفق المحدد لها بفضـــل نشـــاطها الثقـــافي اليومـــي. إن الحاجة التي تحس بها كل زاوية تعبدية في الارتباط بحركة طرقية أكـــثر انتشـــارا هي في النهاية أكثر دلالة من تكيفها مع العرف. وبالرغم من ارتباطـــها بأساســـها المعارض من حيث المصالح الآنية للمخزن، فإن الزاوية من خلال وجودها البســيط تتآمر على السلطة المحلية وتحاول دائما تجاوزها.

وظائف زاوية

لـــنتذكر أن الزاوية هي في بداية الأمر مكان وجب تمييزه عن ساكنه، حيـــا أو ميتا، ورغم الإدراك المباشر يكون من الصعب معرفة حقيقة من منـــهما يبـــارك الآخر، المكان أم الإنسان. من هذه الرعاية العامة: يجد كل تجمـــع{مدينـــة، قريـــة جماعة، قبيلة} ذاته في ولي – سيد خاص به، فـــمدينة فاس تجد ذاتها في مـــولاي ادريس، ومنطقة سوس في سيدي احماد أو موسى، وسكساوة في " وليتهم الوطنيـــة " لالـــة عزيزة(23) . ومع ذلك فرأي العامة متفق مع رأي العلماء في تفضيل الولـــي قيد الحياة على الولي المتوفى(24) . فساكن مكان مقدس يؤدي وظائف محـــددة مـــن أجلها يجازى.

1 – فهو قبل كل شيء يشفي المرضى، وصاحب معجزات، ونجد هنا مشكل البركـــة بكل حدة. إن مفهوم البركة مفهوم براق يتجاوز كل تعريف مدرك، وليس في نيتنـــا مناقشة المدلول اللغوي لهذا المفهوم، والذي بفضله شاع استعماله لدرجـــة دخولـــه اللغة الفرنسية (25). يقول أحد التعاريف: "يمكن للبركة أن تعني القوة الخارقة، شـــبه مادية. هي البرهان المنسوب إلى الولي، ويشكل ما يريد الراغب أن يستفيد منه.إنـــه شيء خارق للعادة مثل المانا التي تضم العالم المحسوس لـــدى الشـــعوب البدائيـــة ولكنها كذلك هي الكرامة" (26) . إن التردد بين المعنى العلمـــي والمعنـــى الشـــعبي وبين الدلالة الفيلولوجية للمستشرقين والدلالة الخاصة بـــالأنثروبولوجيين واضحـــة هنا.يجب أن نعرف أن هذا اللمعان لمفهوم يجمع بين الذاتي والموضوعي ولكلمـــة هي في نفس الوقت موصوف وصفة، يرجع إلى المرونة العجيبة للتعبير الســـيميائي ونتفهم رغبة الأنثروبولوجيين في العمـــل علـــى اختصـــار الفيلولوجيـــا وبالتـــالي المؤثرات الخارجية (27).إن المصطلح العربي المشتق من التصوف الشرقي يعقلـــن ظاهريا ما تناوله رغما عنه. إلا أن هذا لا يعطي الحق للأنثروبولوجيين في فصل " المقدس عن ظروف نشأته " بالمرة، وعن تعبيره المتطور(28). حتى لو قبلنا فكـــرة

مقدس أينما وجدت فإننا نجد أنفسنا أمام ظاهرة إغراء من خلالها هذا المقدس ذو المستويات، مسير في آخر الأمر من طرف الأكرام أو السيد ومقنن في شكل تنظيم خاص هو تنظيم الزاوية، التي هي ذات أصول خارجية، قبل أن يقع تبنيها وإدخالها على يد شريف وهمي أو حقيقي، أو طالب وهمي أو حقيقي. إن الدلالة الحقيقة " للمقدس الحديث النشأة " تفقد كل قيمة عملية في اللحظة نفسها التي يعبر فيها هذا المقدس عن نفسه، لأنه لا يقوم بذلك إلا داخل أو من خلال الزاوية (29). مهما كانت هذه العلاقة بين الشكل والمضمون فكل شيخ زاوية هو صاحب معجزات، إنها صفة تتعلق بالشرفاء والأولياء، وليس كل شريف صاحب معجزات لأنه شريف بينما كل ولي يتوفر على هذه الصفة وإن لم يكن شريفا.ومن الأفضل أن يجمع بين صفة الشرف وصفة الولاية.من هنا جاء شرط الشرف، من طرف الجميع تقريبا ابتداء من القرن السادس عشر (30).

2 – الزاوية هي مركز للتعليم: فشيخها عالم أو على الأقل طالب، وفي الحالات النادرة التي لا يكون فيها كذلك يستند إلى رجل كفء لتأدية هذا الدور، وهذا ما ظل معمولا به حتى في الزوايا القروية البربرية، إن هذا المظهر من نشاط الزوايا هو أصل ظاهرة التفقه التدريجي الضروري لكل البلاد والمستقل عن الهيمنة القوية للمخزن. لنتذكر الكلمة التي جاءت على لسان كل الإسطوغرافيين : في ظل الفوضى السياسية للقرن السابع عشر نجت العلوم الدينية من الغرق في الفوضى لأنها وجدت ملجأ في ثلاث زوايا، زاوية عبد القادر الفاسي، وزاوية محمد بن ناصر، وزاوية الدلاء. وقد استمرت الزاوية الأولى والثانية في أداء نفس الدور بينما وقع تدمير الزاوية الثالثة. إلا أن زاوية أحنصال التي تسلمت مهمة الاستمرار في نفس منطقة الدلائيين، والتي ربطت علاقات مع الناصريين، استمرت في أداء ذلك الدور إلى عهد الحماية، حيث نجد أحد القضاة ما زال مهتما بإدخال الفقه إلى الزاوية (31). لقد أصبح العرف محاصرا من جميع الجهات، من طرف الفقه الذي فرض مستوياته عند تعميم المدون وتقعيده. وقد عرفت بعض الزوايا فترات انحطاط وتراجع إلا أن حركة التفقيه في حد ذاتها لم تتقطع(32).

3 – الزاوية مكان للاجتماع : يتضح المظهر الاجتماعي المحض للزاوية بكل وضوح في البادية، فهي محطة لإيواء التاجر أو المسافر العادي، وهي المكان الذي تقام فيه المواسم بانتظام (33).أما في المدينة فتتخذ الزاوية مظهر صالون أو مقهى : إنها ليست مقارنة مبسطة إنه رأي قال به شيخ إحدى الزوايا (34). لا أحد لاحظ هذه الوظيفة الاجتماعية للزاوية مثل السويسري مونطي الذي أكد أن " المغرب {...} سيدخل الحضارة عبر الطريق الديموقراطي للجمعية والتعاضد. إنها السمة التي تميز المغربي " (35) والتعاضد في رمزية مونطي هو الزاوية.

4 – الزاوية حكم في النزاعات بين المجموعات القبيلة في محيطها : يتعلق الأمر هنا بدور قضائي بالغ الأهمية. إلا أننا نشير من أجل تلافي التأويلات المصطنعة

أن هذه الوظيفة ليست مرتبطة بالخاصية المقدسة للزاوية. وإنما في الواقع ترتبط بكون الزاوية نظريا لا ترتبط بأي مجموعة بعينها، ولنفس السبب، كان يتم اللجوء في بعض الظروف إلى فقيه أو طالب أو حتى إلى قائد مجموعة بعيدة. إذا كان شيخ إحدى الزوايا صالحا ومستقلا حيال الجميع، وعادلا، و له نفوذ، يتم تفضيله على كل الآخرين من شيوخ الزوايا دون أن يصبح هذا الدور حكرا عليه. كانت الزوايا الأكثر غنى مثل الزاوية الناصرية، والشرقاوية، والوزانية، هي كذلك الأكثر نفوذا، ويمكن أن يدفعنا هذا إلى تصور تمتعها بسلطة قضائية حقيقية.لقد كان التحكيم يجري أغلب الحالات تبعا للحق، دون الأخذ كثيرا بشكليات الفقه، ودون تجاهله كذلك لأن الفصال يشكل جزءا من وسائل التركيب مع العرف. وبمباركة القاضي أو من نسميه قاضيا، تتم المحافظة على المظاهر (36).

5 – الزاوية معقل معارض للسلطة المركزية في حالة مبالغة هذه الأخيرة في الغزو والظلم : إن هذا الدور كان مقبولا حتى من لدن السلطان نفسه، ففي حالات متعددة خلال الحملات التأديبية، أخبرنا الأسطوغرافيون أن السلطان قرر العفو في حق قبيلة من القبائل،أو ساكنة إحدى المدن، لأن أهلها توسلوا إليه بواسطة شرفاء أو أولياء. فحينما مر السلطان محمد الرابع بأراضي تادلة سنة 1864 " بدون الولي بنداود، كان سيدمر كل شيء في طريقه "، كما أخبرنا بذلك أكنسوس، إنه مثال من بين الآلآف. في أغلب الأحيان الزاوية حرم يحتمي به من تبحث عنهم السلطات. والأمكنة الأكثر شهرة في هذا المجال هو مولاي عبد السلام بن مشيش الذي تم إقرار حصانته بظهير صدر سنة 1578، وتم تجديده فيما بعد، وزاوية الفاسيين بفاس، وزاوية وزان، وزاوية أبي الجعد، وزاوية العياشي بوادي زيز وغيرها فكلها لعبت دورا مهما كحرم في تاريخ المغرب (37).

6 – الزاوية عنصر في اللعبة السياسية المخزنية : وهذا المظهر يستحق النقاش أكثر من المظاهر الأخرى. فمن خلال التطور البسيط لدور الوساطة، أصبح شيخ الزاوية متدخلا أو طرفا في النزاعات التي تنشأ في أوساط المطالبين بالسلطة. فقد ساند شيخ الوزانية وشيخ الدرقاوية سنة 1819–1820 ابراهيم بن يزيد ضد عمه سليمان، مثلما توسط شيخ الوزانية وشيخ الشرقاوية سنة 1789 بين السلطان محمد الثالث وولده اليزيد. وكان السلطان عندما يرغب في تحاشي تفاحش مشكل ما يدعو بنفسه إلى وساطة معينة: إنه الدور التقليدي للعمرانيين بزاوية إفران قرب بني مطير وآيت سغروشن. في سنة 1853 طلب السلطان عبد الرحمان من شيخ الزاوية الوزانية التدخل لدى قبائل زمور، كما أن شيخ الزاوية الشرقاوية تدخل في الصلح بين موحا وحمو الزياني والحسن الأول. ومن تمة جرت العادة أن يرافق المحلة السلطانية كل من شيخ الزاوية الوزانية وشيخ الزاوية الناصرية (38). ويبدو أن الدور التحكيمي أصبح مؤسسة، خاصة عندما نرى النفوذ الحقيقي الذي تمتع به عبد السلام الوزاني إلى غاية سنة 1859. وعندما نتذكر أن والد هذا الأخير كلف من

طرف السلطان عبد الرحمان بإدارة إقليم توات بالنيابة (39)، ولم يكن لهذه الصفة التفضيلية في التفويض إلا أن تفسر تفسيرا خاطئا. وهكذا تم الحديث عن شيخ الزاوية الوزانية كنائب للسلطان، كما تحدث دوفوكو عن ولي محلي هو سيدي عبد الله اومحاند بتافيلالت بأنه كان يتمتع بتوقير أكثر من السلطان (40)، فما الذي حصل؟.

لابد من الإشارة إلى أن كل الزوايا ليست في نفس الوضعية، فالتي كانت مراكزها بالمناطق الصحراوية: الساورة، توات، القنادسة، شنكيط، كانت تقريبا خارج الهدف المقصود، وشكلت على أي حال هدفا اقتصاديا محدودا {وهي نقطة تحقق منها الحسن الأول كما رأينا}، ومع ذلك فالسلطان لا يهملها بالمطلق، وإنما يفضل أن يترك لها مهمة حل مشاكل المنطقة، حتى في حالات عدم ضعفه سياسيا وعسكريا. وكانت زاوية ايليغ (بتازروالت) تشكل حالة وسطى. هي كذلك بعيدة ولكن ولأسباب سياسية تم ديبلوماسية دمرها السلطان اسماعيل باعتبارها قوة مستقلة، ثم أعادها الحسن الأول إلى الوضع العام. أما فيما يتعلق بالزوايا الثلاث المهمة: وزان، وأبي الجعد، وتامكروت، التي كانت في نفس الوقت قريبة ومتموقعة في نواحي استراتيجية ومزدهرة اقتصاديا، فيمكن القول عموما، رغم الأزمات الكثيرة التي طبعت علاقاتها بالسلطة المركزية أنها تمخزنت. وإذا لم يتم تدميرها بعد الازدهار كما وقع للزاوية الدلائية والزاوية الشرادية فلأنها قبلت منذ البداية العمل كعضو تابع للمخزن. لقد أشار الإسطوغرافيون إلى أن محمد بن ناصر (ت 1674) لم يشارك في أي حرب من أجل الوطن (جهادية) خشية اتهامه بأن لديه تطلعات سياسية(41)، كما أن العربي الوزاني (ت 1850) أمضى معظم أوقاته ببلاط السلطان سليمان وبلاط السلطان عبد الرحمان. ولم يكن للشرقاويين أبدا أي طموح سياسي. إن العلاقات بين شيوخ هذه الزوايا الثلاث وبين السلاطين لم تكن دائما خالية من بعض السحاب، لكن وفي كل أزمة بينهما كانت وجهة نظر السلطان هي الغالبة. لقد كان محمد بن ناصر لا يذكر اسم العاهل الحاكم في الخطبة(خطبة الجمعة) إلا أنه كان يشرح الأمر من خلال بعض التشدد في الدين، بدعوى أن ذلك لم يكن جاريا زمن الرسول، وليس رفضا منه للولاء. وكان خلفاؤه أكثر خضوعا لدرجة أنهم لم يتوجهوا للحج أبدا دون الحصول على موافقة السلطان (42) . وفي سنة 1784 عاقب السلطان محمد الثالث العربي الشرقاوي (ت 1817) ونفاه إلى مراكش دون أن يثير ذلك أي صعوبات بالغة. ولن تختلف حالة الوزاني عن الحالتين الأخريتين إلا بكون الخلاف بين عبد السلام والحسن الأول تم تطعيمه بأزمة بين المغرب وفرنسا (43) .

وتتميز خاصية تبعية الزوايا للمخزن ليس فقط بضرورة تجديد الامتيازات الممنوحة للزاوية في بداية كل حكم. فهذا شيء طبيعي، وإنما بضرورة موافقة السلطان (44) على كل شيخ جديد للزوايا رغم أن اختيار الشيخ يتم من طرف

أعضاء الزاوية {عائلة الولي، الخدم، المريدون، الأتباع} بالإجماع. يتدخل شيخ الزاوية في النزاعات بين المطالبين بالعرش، ويتدخل السلطان بدوره في أمر تولي شيخ الزاوية، لقد أصبحت هذه العملية أكثر تداولا كلما توغلنا في القرن 19 .

إن سلطة الزوايا محرضة: وتؤكد ذلك أحداث أخرى. ويتقلص نفوذ الزاوية كلما ابتعدنا عن المؤسس كما لو أن التقوى والسلطة كانتا في علاقة عكسية مع الغنى. هؤلاء آيت عطا الذين هاجموا باستمرار أملاك الناصريين، وبنو مستارة الذين هاجموا أملاك الوزانيين، بينما السلطان هو الذي كان ينظم حملات لتأديب الجناة (45). نصل هذه النتيجة غير المتوقعة لدى أصحاب النظرية الأنتروبولوجية أن دور التحكيم بين القبائل لا يحصل إلا بتفويض من السلطان. وعندما ينزع هذا التفويض من شيخ الزاوية، يصبح هو نفسه بحاجة إلى حماية. وأبرز مثال على ذلك مشكلة عبد السلام الوزاني، فقد كان يشغل قبل سنة 1860 منصب نائب للسلطان في أقاليم الشمال وإقليم توات، إلا أنه فقد تأثيره داخل البلاط حينما أظهر تطرفا أدى إلى حرب 1859–1860 ضد الاسبان. وهكذا تقلص كل شيء إزاء زاويته، بدءا بالزيارات، كما لو أنه لا يستطيع الاستمرار دون دعم قوة سياسية. من هنا حاول أن يجد في المجال الجزائري، ما فقده بالمغرب، ونجح في ذلك عندما التقت مصالحه مع مصالح فرنسا. وهكذا تحول من أداة إدارية في يد السلطان إلى أداة في السياسة الفرنسية في نفس الظروف ولنفس الأسباب، هو الذي كان يحمي الناس ضد السلطة المخزنية أصبح محميا من طرف قوة أجنبية، وفضلا عن ذلك مسيحية. لقد استغل السلطان هذه الظروف للنيل من سمعته: فاتهمه العلماء بالخيانة وتبرأت منه عائلته بفاس، وأخيرا صنفه المخزن مرتدا، بمعنى أنه استباح دمه. وهذه الوضعية هي التي حتمت عليه قضاء أغلب أيام حياته بالجزائر، حيث أنهى بقية أيامه مدمنا على الخمرة، ومصابا بالجنون (46). إن الدرس الذي يمكن استخلاصه من هذه المغامرة هو ما أكده المخزن " لقد كانوا (الوزانيون) باستمرار في خدمة سلاطين المغرب، للعب دور الوسيط بين القبائل وإقامة الصلح بينهما حسب رغبة السلطان" (47). هل هذا مجرد ادعاء من طرف المخزن؟ لا يبدو ذلك لأن كل الزوايا انتهت إلى لعب دور إلى جانب الحماية الفرنسية وهو نفس الدور الذي لعبته من قبل إلى جانب السلطان، كما لو أنها لا تستطيع أن تكون مستقلة حقا.

عندما تتجاوز زاوية الإطار المحلي وتتخلى عن دورها كمركز تعليمي ومكان للعبادة، من أجل أن تصبح قوة سياسية، فإنها ترتبط بسرعة بالسلطة القائمة بعدة روابط، ولا تتمتع بأي سلطة إلا عن طريق التفويض.وقد تستطيع بعض الزوايا الحصول على درجة من الاستقلالية إذا كانت نائية أو كان الحكم المركزي ضعيفا (هذه حالة ايليغ)، ولكن مثل هذا الأمر أصبح بالتدريج غير ممكن، وفي تراجع في القرن التاسع عشر، ورغم المظاهر، وما كتبه الرحالة

غير المنتبهين أو المعنيين، فإن الزاوية لم تشكل قوة سياسية إلا في حالة تحولها إلى جهاز للإدارة المخزنية.

موارد زاوية

يمكن أن تقدم هذه الموارد على أنها مكافأة عن الخدمات التي أشرنا إليها وتأتي في شكل هدايا وزيارات، وشكر لشفاء عليل، واسترجاع أملاك مفقودة وميلاد، وتحكيم بين أفراد أو جماعات، وتحرير اتفاقات أو عقود، ومباركة محصول ... إنه ما يعادل راتب أو تعويض أتعاب طبيب، شرطي، قاضي أو موثق عقود. هذه هي الموارد الطبيعية لزاوية كبيرة كانت أم صغيرة. وتتوقف الزوايا في النتائج المحصل عليها على درجة صلاح الشيخ أكثر من توقفها على سلطة مفوضة من الخارج. وهي الأساس الوحيد لاستقلالية فعلية(في جميع الحالات بالبادية) تبدو هذه الموارد هزيلة. وتضع في نفس الإطار شيوخ الزوايا وأئمة المساجد. وتعلل هذه الهدايا في الواقع ومن وجهة نظر المعتقد، في كل أمكنة أداء الشعائر بالعادة والرغبة المبررة لدى المعنيين أنفسهم (48).

كانت المكافأة عن التعليم بالزاوية تتم طبيعيا عن طريق مساهمة تطوعية منتظمة. ولم تكن الزكاة نظريا خاضعة لإذن سلطاني. وعلى العموم كان أغلبها يعطى للمدارس القرآنية، وبالتالي للزاوية(49)، لكن في الواقع ومنذ زمن طويل كانت الزكاة والأعشار (المنسوخة عن الخراج، القابل للنقاش شرعا) تدفع للسلطان الذي بإمكانه التنازل عنها لفائدة طرف آخر. ومن ثمة تعمم تدخل المخزن ومراقبته للزوايا، ونفس الشيء فيما يخص الحبس، فكل شخص هو حر في وقف أملاكه لفائدة إحدى الزوايا. إلا أن استعمال هذه العائدات محدد بدقة(الاعتناء بالأمكنة أجرة الفقهاء، التموين المجاني للطلبة والمسافرين)، من سيراقب استعمال المداخيل ويقف خاصة على التمييز بين مداخيل المؤسسات ومداخيل أعضاء الزاوية، غير ناظر الأحباس، خاصة إذا كانت هناك تجاوزات أو تعلق الأمر بمداخيل مهمة؟ لقد فاقت عائدات الأحباس بسرعة عائدات الهبات والتبرعات(50).

ومع مرور الزمن اغتنت الزاوية وتملكت مجالا عقاريا (هبات،شراء،إحياء أرض موات) يعمل به المريدون والأتباع، وإذا وجد هذا المجال العقاري في طريق يرتاده الناس كثيرا، فإن الرئيس يستثمر فيه المال بواسطة مؤسسات تجارية مثلما هي حالة اليغ وتامكروت. ومع هذا الإغتناء تولدت خلافات مع القبائل والقواد المجاورين للزوايا. ودفع هم التسيير إلى الالتجاء لمقدمين متضلعين في المشاريع أكثر من تضلعهم في الدين والفقه. إن الأعضاء الأكثر ارتباطا بالإلهام الأول انفصلوا من أجل تأسيس زاوية أخرى بعيدا (51). في حين أن التعويض (المكافأة) الأكثر أهمية كانت تلك التي تكون مقابل عمل سياسي يفضي إلى انتصار مطالب بالسلطة، وإلى انقياد قبيلة، وإلى إعادة نشر السلم بناحية مضطربة. هذا ما نسميه

إقطاعا استنادا إلى مؤسسة إسلامية قديمة أو التنفيدة Tanfida وهي الكلمة المستعملة من طرف المخزن، خاصة في القرن التاسع عشر. وينتج عن كل هذا أملاك عقارية تسمى العزيب (52). والأطروحة الأكثر رواجا بصدد هذا الموضوع أبدعها ميشوبلير الذي اتخذ أملاك الوزانيين بالغرب نموذجا. وتعود ظهائر الإقطاع إلى سنة 1578، أي إلى فترة انتصار السعديين على الغزاة البرتغاليين بفضل المساعدة الحاسمة للحركة الجزولية، ثم وقع تجديدها من طرف السلاطين العلويين الذين كانت سلطتهم متنازع عليها مثل عبد الله بن اسماعيل (1757-1727) وسليمان (1822-1792). وتم اعتبارها بمثابة تنازل حقيقي عن السيادة. إننا في هذه الحالة لم نقم بتعميم وضعية خاصة بالغرب فقط، بل أكثر من ذلك نظمنا ما كان ظرفيا وغير دقيق، لنترك جانبا حرمة الحرم التي يمكن أن تكون مصدر دخل لكنه عادة ليس كذلك. إن نقطة انطلاق هذه الاقطاعات هو الإعفاء من الضرائب (الزكاة والعشر) التي تدر على الزوايا بدل القائد، ويمكن القول إنه التنازل الوحيد الحقيقي لأنه في الواقع رجوع إلى القاعدة، وبالتالي فهو تقليدي في البلاد الإسلامية مشروط بخدمة مؤداة (تعليم، تحكيم، جهاد ضد الأجنبي)، ويمكن استعادته في كل الأحوال. إن الإنعامات العقارية بالمعنى المحصور لم تكن أمرا مقررا، لأن القانون العقاري عامة موضوعا للنزاع، ولا يتعلق الأمر إذن إلا بحق انتفاع، وحتى لو أن السلطان قبل فيما بعد بالأمر الواقع فإن القبائل قديمة أو حديثة الاستقرار لا تقبل ذلك عامة وبقدر ما كانت الزوايا تستفيد من معارضتها العنيفة لتزداد غنى بقدر ما كان السلطان قادرا دائما على استرجاع امتيازاته، ويبقى مع ذلك الامتياز القضائي والجبائي والاداري (التوقير والاحترام) الذي يعطي للعزيب صورته الحقيقية: وضع الناس أنفسهم اختيارا تحت حماية السيد – الولي، هروبا من تنكيل القائد ومن الضرائب المتعددة، ومن الخدمة العسكرية. وبهذا يصبح الانتفاع مقرونا بيد عاملة مسخرة طواعية وتدفع فوق ذلك إتاوات وضرائب للزاوية (53) لكن يظهر جيدا أن هذا له ارتباط بالمخزن مباشرة بما أنه ينعم، وبما أنه وبشكل غير مباشر يخلق الشروط التي تحث الناس على تفضيل سلطة الزاوية التي تعتبر أخف من سلطة المخزن. ومن هنا أتت وضعية الحيازة لكل أملاك الزوايا الكبرى، فعزائب الوزانيين لم تستطع التطور إلا في منطقة الغرب وبمساندة حقيقية من طرف المخزن، وفيما بعد من طرف فرنسا (54)، والشرقاويون لم يجدوا مجالا مماثلا بتادلة، فالتجمعات المحلية والقياد والشيوخ واجهوهم بقوة واستطاع المخزن استعادة الأمور بيده في نهاية القرن التاسع عشر. ولم تستطع إنقاذ الشرقاويين سوى السياسة اللاحقة لسيد أبي الجعد(55) . وازداد الناصريون ضعفا بسبب فقر المنطقة وبسبب اغتصابات جزء من ممتلكاتهم من طرف آيت عطا الذين أصبحوا هم كذلك حماة وغرماء للزاوية. وقد أصبحت هذه الأخيرة تعتمد أكثر فأكثر على عائدات أحباس الزوايا المحلية التابعة لها. ومن هنا جاء سوء نية هذه الأخيرة، وأزماتها

وفقدانها لنفوذها. الخ (56). عندما أكد المخزن : " من أجل هذا (التحكيم بين القبائل) كانوا {الوزانيون} معفون من الضرائب ومن الواجبات المفروضة على غيرهم"(57) فإنه نطق بحقيقة سارية على كل الزوايا.

إن الموارد الأكثر أهمية بالنسبة للزوايا تلك التي تمكنها من لعب دور سياسي كانت تحت تصرف السلطان، فكلما كانت الزوايا غنية كلما كانت ذات نفوذ وخاضعة للسلطة المركزية. فالزاوية المستقلة كليا لا تعيش إلا على التبرعات وتلعب في البوادي على الخصوص دور مسجد، ورئيسها لا يكون أكثر من إمام للصلاة (58). هناك فرق بين هذه الوضعية وبين الوصف شبه الفيودالي للزوايا الكبرى كما تم تقديمه في بداية القرن التاسع عشر. انطلاقا من أدوار وموارد الزوايا يمكن أن نقترح هذا التصنيف : زاوية ـ مركز اجتماعي في المناطق القروية، يقصدها الناس طالبين للجوء، أو للعلاج، ولتسوية خصوماتهم، ولتبادل منتوجاتهم، وللتسلية، فهي في نفس الوقت فندق ومستوصف، ومحكمة، وسوق ومدرسة، ومعرض، ونعرف بماذا سيتم تعويضها فيما بعد (59). الزاوية النادي الحضري التي يتم ارتيادها بين وقت العمل بالدكان والعودة إلى البيت، للاستراحة وتبادل النصائح والأخبار مع "الإخوان" . الزاوية المنسك، والزاوية المعبد، التي هي النموذج التاريخي والمنطقي للأصناف الأخرى والتي يمكن أن تستمر في نقائها القديم أو تنصهر في الأصناف السابقة. الزاوية الإمارة التي يمكن أن تتضخم حتى تضم إقليما برمته يلعب فيه السيد كل الأدوار ويتمتع بسلطة كاملة. الزاوية نظام طرقي، التي يمكن أن تقتصر على عائلة، أو عشيرة، أو تجمع إلى جانب الخدم والأتباع والعمال قسما مهما من ساكنة جهة معينة (60). على المستوى الطبوغرافي الزاوية مروحة واسعة تمتد من قبة بيضاء بسيطة في المشهد الطبيعي إلى مدينة متوسطة تضم آلاف السكان مثل وزان وأبي الجعد. وتمتد على المستوى السياسي من التسيير الإداري البسيط للمقدس إلى السلطة السياسية، يشكل رمزها جيش خاص ومظلة كبيرة (61). وإذا اخترنا أن نجمع كل هذه المظاهر تحت مفهوم زاوية فما هو التعريف الذي يمكن أن نعطيها ؟.

تعريف الزاوية

في الأدبيات المتوفرة لا يوجد تصنيف ولا تعريف سوسيولوجي للزاوية. وربما وجب رفض هذه التسمية التي ترتكز على وضع مظاهر جد متنوعة تحت نفس المفهوم ودراسة كل منها على أساس ظاهرة مستقلة.

إذا كانت الزوايا تذكر في نفس الوقت بالأنظمة الدينية للعصور الوسطى المسيحية {فئة المدرسين المتسامحين، والمتسولين، والمتعارضين}، وبالأنظمة العسكرية والسياسية للفروسية، وبالسادة الاكليروس، وبالأحزاب السياسية الدينية الخ ...فذلك لأن اللاتمييزية التي هي الطابع الأساسي لمجتمعات ما قبل الحداثة

تلعب دورا أساسيا. يجب في بداية التحليل على الأقل إدراك الفرق بين مــا يبـدو غامضا وبراقا خاصة إذا تم الاهتمام به على المستوى السياسـي ضمـن أنشـطة الزوايا. ومع ذلك فقد ننسى فيما بعد هذا الغموض الذي هـو جـزء مـن الحقيقـة وربما هو المظهر الأكثر تعبيرا عن المجتمع الذي ندرس. يتعلق الأمر إذن بـإدراك الفرق لجمع مظاهر حقيقة هي دائما واحدة.

إذا كانت الزاوية قادرة على الارتباط بأشكال تجمعية أخرى : قبيلة {وهـي حالة ركراكة أو القنادسة}، عائلة ارستقراطية حضرية {وهي حالة زاوية الفاسـيين} حرفة {وهي حالة الرمى}، جماعة ظرفية مهمشة {وهي حالة الحمادشـة}، منظمـة ذات تطلعات سياسية {وهي حالة الدلاء}، فكل يرى ذلك بسهولة، لكن المجازفة التي يتم تلافيها نادرا هي التعميم انطلاقا من حالة واحدة، بأخذ العنصر الذي يضاف إليه مظهر الزاوية من أجل الأساس الموضوعي للظاهرة كلها. انطلاقا من ماذا نصـل إلى نظريات جد معروفة حول الزاوية كتعبير عن الوطنية البربرية، وحركة لتوحيـد العنصر الصنهاجي، ووسيلة مراقبة المدينة للبادية، وأداة للسياسة المخزنية (62).

إن النقطة الأساسية التي تجب الإشارة إليها دائما هي أن الزاويـة متعـددة الوظائف، ففي تطورها تحاول بطريقة خفية، مثل ما فعل الوزانيـون، التخصـص كأسياد حقيقيين للأرض. أو الزاوية الدرقاوية كحركة تجديد للصوفية، لكن ورغـم هذا فالزاوية تحتفظ بالحضور الكامل وتحول كل محاولة للتعميم من خـلال حالـة واحدة محاولة وهمية. بعد هذا السرد نحن أحرار في عزل المستوى السياسي الـذي يهمنا على الخصوص. وهنا في الواقع تظهر لنا التناقضات بين المخزن والزوايـا. فالزاوية كمركز إداري واجتماعي لم ينظر إليها أبدا بسوء نية من طرف المخـزن. فإليها قدم الهدايا والامتيازات (63)، وإذا تطورت الزاوية بشكل طبيعي في المجـال والولاية فإن السلطان يستمر في التنازل لها عن بعض سـلطته مـع أخـذ كـامل الاحتياطات. إذا ألقينا نظرة على الخريطة نلاحظ أن الزوايا الإمارات متمركزة فـي مواقع فاصلة تفصل بين السهول والمناطق الجبلية والصحراوية (64)، وفـي هـذه الحالة تدخل الزاوية في نوع من التراتبية : السيد يمثـل نظريـا علـى المسـتوى الجهوي ما يمثله السلطان على المستوى المركزي، ويلعب نفس الدور فـي سـياق توحيد عمودي ورمزي. والطريقة التي تنتشر انطلاقا من مركز تصل إلى توحيـد أفقي، ويستطيع المخزن كذلك وبسهولة إدماجها في نسقه. وقد سبق أن أشرنا إلـى استعمال السلطان سليمان لدرقاوة بالجزائر (65).

إن المخزن قادر إذن وفي كل الحالات على استقطاب الزاوية، محلية كـانت أو جهوية أو طرقية ويجعل منها جهاز الإدارة الاجتماعية. فلماذا يحدث تعـارض بين الإثنين أحيانا؟.

الحاصل أن الزاوية في معناها الأكثر بساطة والأكثر فهما تظهر أساسا مثل هيئة اجتماعية، وهو الشكل الذي ظل مختفيا وراء المضمون السوسيولوجي الأكـثر

غنى. إنه نفس شكل الخلية النبوية التي استمرت عبر الزمان، وكذلك عبر المكان منذ نشأة أي زاوية إلى انتشارها الواسع. وإذا نظرنا إلى التطور وإلى الحياة اليومية وإلى تنظيم أي زاوية فإننا ننتبه بسرعة إلى توافق كل هذا مع ما يجري على المستوى المركزي. وهذا هو أصل التعارض الخفي دائما

ولا يمكن مناقشة هذه النقطة خارج مشكل "الفردانية الاسلامية" (66). فالإسلام المعياري لا يخاطب إلا الفرد، متجاهلا كل أشكال التجمع. ويحرم التعصب الذي يعني أساسا التكتل، وما تشكله هذه الفردانية من خطر يكمن في إمكانية تحولها التدريجي إلى فوضى. وفي الحقيقة وجدت تجمعات بدائية طبيعية إلا أن الدولة الإسلامية جعلت تقويضها من بين أهدافها. ومن أجل الموازنة مع خطر الفوضى دون تأجيج التجمعات البدائية لم يقدم الإسلام إلا نموذجا واحدا : هو نموذج الوعظ النبوي (أحد معاني الأمة)، وقد فرض هذا الشكل نفسه على كل إرادة تجمع : إنه الزاوية. يمكن للمضمون أن يتنوع إلى ما لانهاية لكن الشكل يبقى دائما هو نفسه، فقط، وهذه هي النقطة الأساس، الدولة الإسلامية هي من نوع هذا النموذج. لهذا فمن غير المدهش أن يظهر المخزن بطريقة أو أخرى بمثابة زاوية ونفس الشيء أن تظهر لنا الزاوية بمثابة مخزن مصغر. لكن الأمر الذي لم يشر إليه الأنتروبولوجيون جيدا هو أن هذه المعارضة نسبية لأنها صادرة عن الهوية الأصلية وليس عن اختلافات جذرية. فالمخزن لا يستطيع الاستغناء عن الزاوية المحلية، كمركز اجتماعي، لكن هذه الأخيرة ترمي إلى أبعد من ذلك أي إلى التوسع وتقوية نفسها وتحدي المخزن، اندحار واختفاء وانبعاث. ولا يستطيع المخزن رفض نموذج منحه هو نفسه الوجود بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لكنه يريد للزاوية أن تتكلف بمهام محددة. ومع ذلك فهذه المهام نفسها تمنح للزاوية خاصية دولة ناشئة مادامت توفر التعليم، والمساعدة والتحكيم والنظام والأمن، لأنها تصبح بمعنى إضافي هي المخزن البعيد. ومن جانب آخر تستطيع الزاوية قطع كل المراحل وتنتهي بتشكيل أسرة حاكمة كما يوضح النموذج الموفق للسعديين، والنموذج الفاشل للدلائيين، وفي هذه الحالة لا تبقى زاوية بالمعنى المعروف.

ما قيل حول موضوع المخزن يمكن أن يصدق كذلك على موضوع القبيلة. فبإمكان الزاوية العودة إلى إطار قبلي (67) ويصبح الولي حينئذ أمغارا، لكن هذه الوضعية مؤقتة. وإذا تقمصت سلطة الولي الشكل القبلي فإنها لا تبقى أقل إسلامية ويتسع إشعاعها من أجل ربط المحلي بالكوني، لهذا لا نجد هذه العلاقة زاوية/قبيلة في الحالة الأصلية إلا كبقايا محاولة أجهضت.

يمكن للزاوية باعتبارها شكلا اجتماعيا أن تحجب، وتقوي، أو تكبح أشكالا أخرى مثل : العائلة والحرفة في الوسط الحضري، والعشيرة في الوسط القروي والمخزن على المستوى العام، ومع ذلك فهي تبقى عازلة لأنها على المستوى النظري بمثابة شكل للتنظيم الشامل، ورغم أن المخزن يتجاوز الزاوية، والزاوية

تتجاوز العشيرة فكل عنصر له القدرة في شروط معينـــة علـــى إدمـــاج الطرفيـــن الآخرين داخل بنيته. ونستطيع أن نتخيل مجتمعا أصبح فيه المخزن سائدا، فتصبـــح لدينا في هذه الحالة دولة حديثة، أو مجتمعا مكونا من اتحاد من الزوايا مثلما كـاد أن يحصل في القرن السابع عشر، أما في القرن التاسع عشر فالوضعية كانت وســـطا: معارضة كامنة، وأحيانا مفتوحة، لكن كذلك توازي بنيوي وتعايش بين كل أشـــكال التمفصلات في مستويات مختلفة.

هكذا نرى لماذا عندما يريد المخزن إنهاء علاقته مع هـــذا التـــوازن غـــير المستقر يعلن المواجهة ضد الزوايا التي تأخذ شكل طرقية (مثـــل التيجـــانيين) أو شكل إمارة (مثل الوزانيين)، لكن دون الحصول على نتيجة نهائية فـــي مثـــل هـــذه الوضعية. والأكثر أهمية أيضا عندما ظهر في القرن العشرين شكل آخـــر للتجمـــع وهو الحزب السياسي، فإنه دخل توا في صراع مع الزاوية. لقد دفعت المحاربة مـــن جميع الجهات بالزاوية إلى الارتداد في اتجاه قاعدتها، بمعنى نحو العشـــيرة (إنـــها الفترة التي تظهر فيها مراجعة النظريات الانتروبولوجية)، لكنها لم تســـتطيع أبـــدا استعادة وظيفتها التي جردتها الإدارة العصرية منها، ومن هنـــا جـــاءت الهشاشـــة الدائمة للزاوية في القرن العشرين.

هيأت الزاوية على الأقل التربة للحزب السياسي من خلال تطور مســـارها نحو التوحيد العمودي ــ ممثل لمخزن مصغر على المستوى المحلي ــ وعملـــت على تفجير الحكم الذاتي المحلي، إذا ما وجد هـــذا الوضـــع (68) . فـــلأي شـــيء سينضاف تطور مسار نحو وحدة أفقية، عندما كـــان النـــاصريون يراقبـــون مائـــة وعشرين زاوية متفرقة في كل المغرب، أو عندما أصبح أهـــل ســـوس درقـــاويين يتوجهون جماعة إلى مقدمة الريف لحضور موسم بوبريح (69). أكدنا علـــى طـــابع المعارضة لدى الزوايا في القرن التاسع عشر، والذي مثله موقف الوزانييـــن الـــذي افقد المغرب منطقة توات، وأضعف سلطة السلطان، لكن عند البحث عـــن الأســـس الاجتماعية للوطنية المغربية، لا يجب أن ننبهر بهذا المظهر مـــا قبـــل الدولـــة أو بالمظهر الجهوي الذي يتحقق نادرا، وننسى هذا الرابط الدقيق لكل ساكنة المغـــرب في مختلف مناطق البلاد الذين يجمعهم شكلا تنظيميـــا واحـــدا، وتراتبيـــة وتقـــاليد مشتركة .

الهـــوامـــش

1 – إنها نفس وضعية الزاوية الفاسية بفاس، والحراقية بتطوان، والزوايا التيجانية في كل المدن الكبرى.

2 – BRUNEL René : Le Monachisme errant dans l'Islam :Sidi Heddi et les Heddawa,Larose,Paris,1955

3 – انظر: V.CRAPANZANO.Vincent : The Hamadsha .

عند : Keddi Nikki : Saints and Sufis Muslim,Religions Instutuions in the Middle East since 1500, University California, Presse, Berkley-Los Angles,1972

4 – هذا النموذج تم منذ فترة بعيدة،كما يوضح ذلك القسم المتعلق بالتصوفية.عند محمد ميارة،الدر الثمين.

5 - لعب E.MICHAUX BELLAIRE دورا كبيرا في نشر هذه النظرية بفضل جمعه للوثائق والتأويل الذي أعطاه إياها. انظر دراساته لسنة 1909-1911.

6 - DE FOUCAULD :Reconnaissance au Maroc 1883-1884.Challamel ;Pari 1888s ,P293.

7 - خلاصات E.WESTERMARCK أخذت بها من جديد الانتروبولوجية الأنجلوسكسونية. كل هذه المظاهر ناقشتها الأصولية المسلمة(جعفر الكتاني سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس،ج 1، ص 58-55-42

8 - E.GELLNER : Saints of the Atlas. 1969.P.232,N°1,P135-246.

M.MORSY :Les Ahansala . Examen du rôle historique d'une famille maraboutique de l'Atlas marocain. Mouton,Paris – la Haye,1972. P.41

CONTRA,J.BERQUE : Structures sociales du haut-Atlas. Presse universitaire de France,Paris,1955,P273.

9 - E.MICHAUX-BELLAIRE : l'organisme marocain. R.M.M. vol IX,1909.

G.SPILLMANN :Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. Peyronnet et c ie,Paris,s.d. 1951. c ie,Paris,s.d. 1951.

10 - J.BERQUE,1955 يفرق المؤلف بين الطرقية الشخصية والصلاح المشترك.

11 - حسب أطروحة M.MORSY كان من الممكن تواجد زاوية بن حسن(قبيلة متنقلة)،والتي لم تتواجد قط كزاوية.

12 - E.MICHAUX. BELLAIRE : Les Crises monétaires au Maroc. R.M.M Vol XXIII ,1919,P 157.

13 - هذا تعريف غير واضح ل G.SPILMANN(drague) م . س ص 279: الطرقية هي جمعية تراتبية من المسلمين تقوم بممارسات خاصة، يسنها أحد الصلاح أو أحد المنورين أو صانع معجزات، للحصول على العفو الالهي .

14 - يتم دراسة الأدارسة والمرابطين والموحدين على أنهم زوايا، وفي الحقيقة نرجعهم إلى أحد مظاهرهم.

15 - هذه الملاحظة تقربنا في الحقيقة من الفرضية الأنتروبولوجية، هناك مراكز يبدو انه مقدر لها أن تشكل مراكز تجمع،لكن الزوايا التي تنشأ يظهر على أنها كما في الماضي، نتيجة حركة صلاح سابقة.

16 - لهذا لديهم اسطغرافيتهم كما لدى الأسر الحاكمة.

17 - لنفس الفترة يرجع تاريخ زوايا أخرى صحراوية:الكرزازية(المؤسس ت1608؟) ،المختارية(المؤسس ت 1554).

18 - لنفس الفترة ترجع الزاوية الزياتية في القنادسة(المؤسس ت 1733).

19 - المحاولتان اللتان أجهضتا - الزاوية الدلائية وزاوية أحنصال - ترجع هي كذلك إلى فترة التقهقر التي طالت البلاد ما بين حكم الأسرتين السعدية والعلوية. ويبدو أن أسباب الفشل لا تأخذ بعين الاعتبار أصلهم البربري،فالدلائيون تجاوزوا إطارهم المحلي ودخلوا في صراع غير متكافئ، في حين أن الحنصاليين ظلوا داخل إطارهم المحلي.

20 - BODIN. M. La zaouia de Tamegroute. A.B.Vol III, 1918.P.283, A.F.1913 N°71

BERRADI Lhachimi. : Les Chorfa d"Ouazzane, le Mekhzen,et la France 1850-1912 .Thése inedite. Aix Provence.1971.P. 13-14

21 - الحجوي محمد بن الحسن: اختصار الابتسام . ص .346-347.

بالنسبة لبدايات الزاوية الكتانية ،المختار السوسي خلال جزولة 1958 ص8 -20 الكاتب هو ابن الشيخ الالغي.

22 - التيجانيون وحدهم هم الذين أصروا على حق التصرف (ماء العينين 1889).

23 - J.BERQUE 1955 ص. 283-287 . يفرق المؤلف بين نوعين من الصلاح الرؤساء: الذي يوحد بين مجموعة محلية (احمد أو موسى) والذي يوحد بين الأشخاص عبر تراب البلاد (الناصري).

24 - الكتاني محمد جعفر: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس،(3 أجزاء.فاس.1899). ج 1 ص .40.

25 - Le Robert يحدد التاريخ ومكان هذا الاستعمال(1920 المغرب).

26 - E.DERMENGHEM :Le Culte des Saints dans l'Islam maghrébin. Gallimard,Paris 1954,P.24.

27 - استعان E.GELLNER 1968 ,P.74-78 ب WESTERMARCK

(Rituel and Bilief in Morocco. Mc Millan,London 1926)

28 - نبه BERQUE كثيرا إلى التصنع الذي يشمل بعض الأبحاث الإثنولوجية التي ترفض كعقلنة اسلامية كل ما لا يطابق تعريفهم المتعلق بالمقدس الأصلي.

29 – نرجع إلى التحليل الفيلولوجي، وتظهر البركة خاصة كصنف منطقي . هذا واضح في مجادلة السـلفيين، بدونها لا تكون هناك دعوة.

30 – ابن عبد القادر الفاسي كان خالق معجزات بدون أن يكون شريفا(الكتاني م س ج 1 ص 316)

31 – يؤكد E.GELLNER على أنه كان أميا (حسب شهادات مشكوك فيها). لكن تواجده يفرض إعادة النظر في نظريته الأنتروبولوجية.

De FOUCAULD أشار بأن هؤلاء القضاة تواجدوا في معظم أراضي السيبة.

32 – خلال القرن التاسع عشر، كان يتواجد 50 طالبا بوزان، و80 بأبي الجعد.

33 – نظرة أرتدكسية على هذه المعارض، الكتاني م س ج 1 ص 62-64.

ابن الموقت: الرحلة المراكشية،3 أجزاء. طبعة مصطفى البابي،القاهرة، 1932 ص 142-177.

34 – سكيرج احمد العياشي: رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأحبـــاب. ج 3.مطبعة الأمنية .الرباط 1971. ص 258-262.

35 – MONTET Edouard : Les Confréries religieuses de l'Islam marocain leur rôle religieux ,politique et social . Revue de l'histoire des religions 1902 P .32-35.

36 – J.BERQUE :Structures sociales du Hautes-Atlas ,Presses Universitaires de France, Paris , 1955,P.268-269

.BODIN : La Zaouia de Tamegroute.A.B. Vol III, 1918.P 289 .

(رسالة محمد بن ناصر إلى قبليتين:وقعت من أجلكم هذنة أربعين يوما)،مختار السوسي المعسول ص 39، كان فرعين من شتوكة في حرب فيما بينها وتدخل الشيخ لكن بدون نتيجة، فطلب ممن يرغب في الحرب أن يعلن عن ذلك ومن يرغب في السلم أن يعلن بدوره عن ذلك، فصاح الكل، الشيء الذي أفزع الخيـول التي لاذت بالفرار، فلم تقع الحرب، إنها بركة.

37 – الكتاني، م س ج 1 ص 312-316. توطئة عبد القادر الفاسي:كان يحتمي بالزاوية المتابعون من طـرف المخزن لعدم دفعهم الضرائب والإتاوات،أكنسوس(الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علـي السجلماسي) ص 67.

(التجأ عبد الرحمان بن سليمان المطـــالب بـالعرش إلــى زاويــة العياشــي)، محمــد داوود(تــاريخ تطوان،منشورات كلية الآداب،6 اجزاء تطوان 1956-1970)، ج 2 ص 38 (حرم عبد السلام بن مشيش).

38 – الناصري: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج 7 ص 141. عبد الحافظ الفاسي (رياض الجنـة أو المدهش المطرب ج 2 . المطبعة الجديدة فاس 1931 ص 139)(يشير المؤلف إلى أن الفرنسـيين مـاثلوا عنوة دور الوزانيين إلى جانب السلطان في المغرب بدور شيخ الطريقة المولوية إلى جـانب السـلطان العثماني)

39 – برادي الهاشمي : م س ص 91.

40 – De FOUCAULD P 114 . G.DRAGUE. P 172 .

41 – الناصري: طلعة المشتري في النسب الجعفري، فاس 1891 ج 2 ص 79

42 – نفسه ص 161-165.

43 – حول هذه الأزمة انظر التفاصيل عند برادي الهاشمي،م س ص 142. MIEGE .T IV P.47-66

44 – يتعلق الأمر ببيعة صغيرة (وصية،مبايعة،مصادقة).

DURANT.Pascal : Boujad,ville Sainte ,les marabouts de Cherkaoua. A.F.renseignements coloniaux fevrier 1930 P 72

BODIN .M : La Zaouia de Tamegroute. A.B.Vol III,1918,P.277

DRAGUE :Esquise d'histoire religieuse du Maroc, Peyronnet et Cie,Paris,s,d P.192-193

45 – المشرفي العربي بن علي:الرسالة في أهل باصبور الحتالة كتبت سنة 1873.

BODIN OP CIT 1918.P.74. . فيما بعد أخذ الفرنسيون مكان السلطان في الدفاع عن الزوايا.

(DRAGUE OP CIT P.216)

46 – الناصري:ج 4 ص 83 وما يتبع .

47 – برادي م س ص 194.

48 – إن القيام بزيارة ضريح ولي مع تقديم هدية أثبتت في عدة مناسبات بأنها عملية تساعد علـى تحقيـق رغبة ما.(م ج الكتاني،م س ص 60-61). ويضيف مع ذلك على أنه وفي طريقه إلى ذلك المزار،إذا مـا صادف فقيرا يجب أن يمنحه تلك الهدية،رغم أن الناس لا يقومون بهذه العملية عادة.

48 – المختار السوسي: جزولة ج 4 ص 20-21.

50 – J.BERQUE :Structures sociales du Haut-Atlas. Presses universitaires de France, Paris 1955 P.246

حول الشرط SHART ما بين الجماعة والزاوية يقال إن الزاوية "حرة" فهي معفاة من الزكاة والأعشار من طرف السلطان (ظهير 1140/1728 لعبد الله بن اسماعيل لفائدة تامكروت).

51 - الناصري : ج 2 ص 128.

52 - MICHAUX BELLAIRE :l'enseignement indigène au Maroc, R.M.M.Vol XV 1911 .

JBERQUE : sur un coin de terre marocain,seigneurs terriens et paysans. Annales, E.S.C.N°45.1937

G.LAZAREV : Les Concessions foncières au Maroc. Repris dans Etudes sociologiques 1968.

53 - انظر البشير الفاسي: قبيلة بني زروال،(كتب سنة 1933)،الرباط 1962 ص 81-82.ظهير اسماعيلي يمنح جميع الامتيازات التي تم التطرق إليها فيما يتعلق بالدرقاويين.

54 - برادي : م س ص 98-91-101-111.

عند بيرك نجد تحليل ومناقشة خلاصات ميشو بلير،سبق الاشارة إليها، وكذلك عند Le COZ (Le Rhab fellah et colons . 2 vol, Inframar, Rabat, 1964) هذا الأخير يفرق ما بين عزيب كمصطلح خاص وعزيب الأحباس.

55 - DURAND.P. : boujad,ville sainte. Les marabouts de Cherkaoua. A.F.renseignements coloniaux ,fevrier 1930,P 72. ، لائحة ممتلكات شرقاوة عند DEKELMAN,op cit 1937.

56 - Bodin : op cit P 278-279. (رفض الزوايا المحلية احتكار الزاوية الأم لمداخيل الأحباس الناصرية بالمغرب كله).

57 - مذكرة السيد الطوريس(أبريل 1884) المشار إليها عند برادي(م س ص 194). أشار ميشو بلير (م س سنة 1919 ص 158) إلى أن المخزن كان يحرض القبائل بعضها على بعض (الوزانيين ضد البقاليين والعلميين)، هذا ليس ممكنا إلا لكونها تابعة له.

58 - إن حالة اليغ يمكن أن تستعمل كدليل مضاد،نظرا لكون الطريقة الجديدة لم تتمكن من الحصول على أحباس،هبات وعقارات لذا تعيش على هبات المحسنين ومن مداخيل الأملاك الخاصة للشيخ وزراعة الأراضي المهجورة. بقيت كل هذه المداخيل متجمعة تحت إشراف الجماعة. ونظرا لنقص المداخيل تدهورت تدريجيا (المختار السوسي م س 1961).

59 - DRAGUE op cit ، كما يقول كخلاصة: إن خلق مركز إداري فرنسي يعني دائما تراجع زاوية.

60 - ثلث ساكنة الغرب ونواحيه يعدون من بين أتباع الزاوية الوزانية.

61 - هذا صحيح خاصة فيما يتعلق بعبد السلام الوزاني الذي تمكن من تحقيق هذا بفضل مساعدة الإدارة الفرنسية بالجزائر.

62 - MORSY.P.M. : Les Ahansala . Examens du role historique d'une famille maraboutique de l'Atlas marocain. Mouton,Paris-La hay. 1972.P 41.

M.BELLAIRE : L'organisme marocain. R.M.M.Vol IX,1919 et 1919 P 158.

MONTAGNE .R. : Les Berberes et le Mekhzen dand le sud du maroc. Alcan, Paris 1930 .

63 - في هذا المستوى تنافس الزاوية د بالمدن المسجد، الذي كان يلعب في الأصل نفس الدور الاجتماعي. من ثمة معارضة الفقهاء (إنه الصراع القديم لمسجد الدرار).

64 - استعمل E.GELLNER عبارة جميلة جدا : Spiritual lords of the marches لكنه لم يستخلص أية نتيجة.

65 - Encyclopédie de l'Islam (ed th Houtsma et al, 4 vol, Leyde 1913-1934

66 - هذه العبارة يمكن أن تدهش الذين يميزون بين الألم والشفاء .

أشخاص مثل الحجوي مهتمين بالتنظيم والنظام،جد حساسين، لهذا المظهر الشخصي الذي أشار إليه كل السلفيين.

67 - إنها الحالة القصوى الممثلة في زاوية أحنصال، التي تتخذ كنموذج لدراسات EGELLNER ET MORSY بالنسبة للأول فهي أساسية على مستوى التنظيم نظرا للتجزئة، إنها تلعب دور الحكم بين الجماعات. بالنسبة للثاني فهي مرتبطة بهجرة آيت عطا ،فهي تمثل ضمير الجماعة. والمثال في هذه الحالة هي الزاوية الأم، أما في الحالة الأخرى فهي زاوية تابعة انفصلت فيما بعد. نلاحظ هنا مرة أخرى حكما شموليا.

68 - إن أهمية ارتباط كل الزوايا بالشاذلية وبعبد السلام بن مشيش لم يشر إليها بالقدر الكافي.

E.LEVIS-PROVENCAL : Les histoiriens des Chorfa . Essai sur la litterature historique et biographique au Maroc du XVI au XX siècle .Larose Paris 1922.